معايير تصنيف الشخصية الإنسانية في فكر الغزالي وابن قيم الجوزية

محمد خالد إبراهيم السميري (*)

أ.د.عماد عبد الله الشريفين(**)

تاريخ الاستلام
2022/10/17

تاريخ القبول
2022/12/13

ملخص:

هدفت الدراسة إلى بيان معايير تصنيف الشخصية الإنسانية في فكر الغزالي وابن قيم الجوزية، والوصول إلى رؤية كل عالم منهما في التصنيف، وقد اتبع الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي للإجابة على أسئلة الدراسة، وذلك في استقراء النصوص الدالة على تصنيف الشخصية الإنسانية في فكر الغزالي وابن قيم الجوزية، وتناولت الدراسة مفاهيم الشخصية الإنسانية واتجاهات تصنيفها، وتوصلت الدراسة إلى أن من مفاهيم الشخصية الإنسانية النفس والإنسان في فكر الغزالي وابن قيم الجوزية، وأن اتفاقهما في تصنيف الشخصية الإنسانية جاء على ثلاثة معايير، الأول: المعيار العقائدي، الثاني: معيار الاهتداء والضلال، الثالث: معيار التصنيف الفلسفي.

الكلمات المفتاحية: الشخصية، الشخصية الإنسانية، الغزالي، ابن قيم الجوزية.

(*) جامعة اليرموك
(**) جامعة اليرموك

Standards according to the classification of the human personality in Al-ghazali's thought and Ibn Qayam Al-Jawziyyah

Abstract:

The study aimed to clarify the classification of the human personality criteria in Al Ghazali thought and Ibn Al-Qayyim Al-Jawziyyah, and access to each scientist's vision in classification. The researcher followed the inductive analytical answer to the questions, by extrapolating the texts indicating the classification of humanity, and humanity in the thought of Al-Ghazali, and Ibn Qayyim Al-Jawziyyah. The study dealt with the concepts of human, and humanity and its trends accordingly. The study concluded that among the concepts of self, and humanity in Al-Ghazali thought and Ibn Qayyim Al-Jawziyyah, and their agreement in classifying the human personality was based on three criteria, the first: Is the emergence of Al-Qaidi, and the second: Is the criterion of guidance and misguidance, while the third: Is the philosophical classification.

Keywords: personality, human personality, Al-Ghazali, Ibn Qayyim Al-Jawziyyah.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين حمدا يوافي نعم ربنا ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على سيد الأنام سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، وبعد:

تزخر كتابات علماء الإسلام بالحديث عن الإنسان وسلوكه، حيث تنطلق من قواعد الوحي الإلهي كتابا وسنة، وتقدم تحليلات دقيقة في ميدان العلوم الإنسانية، وتعالج القضايا المتعلقة بالإنسان وإصلاح حياته خاصة ما يتعلق بالجوانب السلوكية والتربوية التي تحدد طبيعة تعاطي الشخصية الإنسانية المسلمة مع مجريات الأحداث بطريقة تجعلها تتميز على غيرها.

وتأتي الدراسات الإسلامية للشخصية الإنسانية منبثقة من تعاليم الوحي الإلهي؛ إذ لا يدرك كنه هذه الشخصية إلا خالقها، ويمكن الاستدلال على هذه الشخصية من خلال السلوك، وإن السابر لتراث المسلمين يجد أن علماء الإسلام قد أسهموا إسهاما كبيرا في القضايا الإنسانية والنفسية والسلوكية والتربوية، ومن أهمها الشخصية الإنسانية وما يتعلق بتصنيفاتها وأنماطها وتكويناتها ومدلولاتها.

وتعد دراسة الشخصية الإنسانية من الدراسات التي أخذت جل اهتمام علماء النفس الغربيين، ووضعوا لها أنماطا وتصنيفات متعددة وسمات متغايرة، منطلقة من فلسفة مغايرة لفلسفة الإسلام، والمنطلق الإسلامي جاء ليؤكد على أن الشخصية الإنسانية لها تصنيفات جاء الشرع بها كتابا وسنة، ولها اعتبارات في تصنيفها، ولم يغفل علماء الإسلام كما العادة عن الجمع بين ما جاء في كتابات فلاسفة الغرب مع ما جاء في الفكر الإسلامي، وأضفوا على ذلك وإضافة جديدة، ولهذا جاءت الدراسة الحالية لتبرز تصنيفات الشخصية الإنسانية في تراث عالمين من علماء الإسلام وهما: الغزالي وابن قيم الجوزية.

مشكلة الدراسة:

تتجلى مشكلة الدراسة الحالية في أنه لا يوجد دراسات مستقلة في هذا الموضوع، وإبراز تصنيف الشخصية الإنسانية في كتابات الغزالي وابن قيم الجوزية؛ لأن كل واحد منهما يمثل مدرسة فكرية وفقهية، ولما لكتاباتهم من انتشار في الأوساط التربوية؛ إذ تحوي كتاباتهم على تضمينات ودلالات نفسية تربوية عميقة تحتاج إلى جهد في استنباطها وتحليلها وتبويبها في دراسات إسلامية، ولهذا جاءت الدراسة الحالية لتجيب على سؤالها الرئيس **اتجاهات تصنيف الشخصية الإنسانية في فكر الغزالي وابن قيم الجوزية؟ ويتفرع عنه الأسئلة الآتية:**

1- ما مفهوم الشخصية الإنسانية ومدلولاتها في فكر الغزالي وابن قيم الجوزية؟

2- ما معايير تصنيف الشخصية الإنسانية في فكر الغزالي وابن قيم الجوزية؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى:

1- بيان مفهوم الشخصية الإنسانية ومدلولاتها في فكر الغزالي وابن قيم الجوزية.

2- الكشف عن معايير تصنيف الشخصية الإنسانية في فكر الغزالي وابن قيم الجوزية.

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية الدراسة من خلال ما يأتي:

-تزويد المكتبة التربوية والنفسية بالدراسات التي تعنى باتجاهات تصنيف الشخصية الإنسانية في التراث التربوي الإسلامي؛ لتضيف مادة علمية في التراث التربوي الإسلامي.

-تزويد الباحثين والدارسين في الكليات والجامعات بمرجع يعنى بتصنيف الشخصية الإنسانية في التراث التربوي الإسلامي.

-تزويد المؤسسات التربوية بدراسة ومعالجة وتحليل للشخصية الإنسانية منبثقة من تراثنا التربوي الإسلامي؛ لتقف المؤسسات على هذه الدراسات وتستفيد منها في الحقل المعرفي والتطبيقي.

حدود الدراسة:

تقتصر الدراسة على الآتي:

إجراء الدراسة في الأدب النظري من كتابات عالمين من علماء الإسلام، وهما: الغزالي وابن قيم الجوزية، من خلال الدلالات والإشارات في كتاباتهم التي تشير إلى معنى الشخصية الإنسانية وتصنيفها، حيث تزخر كتاباتهم بالأدب النظري الذي يعنى بتصنيف الشخصية الإنسانية، ولأن كل واحد من هذين العالمين يمثل مدرسة فكرية وفقهية.

مصطلحات الدراسة:

الشخصية الإنسانية: "وحدة متكاملة ناتجة عن تفاعل شديد التعقيد بين مكوني الجسد والروح، وهي كيان مستقل يميز صاحبه عن غيره من البشر من حيث الفكر (المعتقد)، والانفعالات (العواطف والمشاعر والميول والاتجاهات)، والسلوك" (التل، 2006، 19ص).

الدراسات السابقة:

في حدود اطلاع الباحث فإنه لم يقف على دراسة مباشرة تعنى بتصنيف الشخصية الإنسانية في فكر الغزالي وابن قيم الجوزية، غير أن هناك دراسات تناولت الموضوع بطريقة غير مباشرة، وفي ضوء استقراء الدراسات التي عنيت بالموضوع واتصلت ببعض جوانبه وتناولت جزئية محددة في ذات الموضوع يمكن إدراج الدراسات على النحو الآتي:

أولا: دراسة عليان (1992م) الموسومة بـ (بناء الشخصية في القصة القرآنية)

هدفت الدراسة إلى بيان جوانب بناء الشخصية في القصة القرآنية، وذلك من خلال تتبع نمطي الشخصية المؤمنة والشخصية الكافرة الواردة في القرآن الكريم، واتبع الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي والمنهج الاستنباطي للإجابة على أسئلة الدراسة من خلال تتبعه للآيات القرآنية الواردة في القصص القرآني.

وخلصت الدراسة إلى عدد من الاستنتاجات وهي أن الشخصية المؤمنة في القصة القرآنية تتسم بالثبات واتباع الحق والإعراض عن الهوى والباطل، وسعيها لإقامة الخلافة وتحقيق العبودية، وأنها جاءت على مستويات اجتماعية متعددة: ففيها الشخصية النبوية، والشخصية المؤمنة، وأن الشخصية الكافرة في القصة القرآنية تتسم بالكفر والعناد والمكابرة والإثم والعدوان والباطل، وأنها جاءت على مستويات اجتماعية متعددة كالزعماء والملوك مثل فرعون وقارون، وفيها الملأ والأشراف، وفيها الأقوام كقوم عاد وقوم لوط وفيها الأفراد كصاحب الجنتين.

واتفقت الدراسة السابقة مع الدراسة الحالية في تعريف الشخصية من مدلول لغوي واصطلاحي، وتصنيف الشخصية إلى مؤمنة وكافرة ومنافقة وهو المعيار العقائدي.

وافترقت عنها في أن الدراسة الحالية جاءت لتبحث في اتجاهات تصنيف الشخصية الإنسانية في فكر الغزالي وابن قيم الجوزية، وفق المعايير التي جاءت في كتاباتهم، والتضمينات التي أشاروا إليها.

ثانيا: دراسة الحاتمي (2001م) الموسومة بـ (دور التربية الإسلامية في تجديد الشخصية الإنسانية)

هدفت الدراسة إلى بيان دراسة بناء الشخصية الإنسانية في نطاق علم النفس، ومن خلال الرجوع إلى أنماط الشخصية الإنسانية الواردة في القرآن الكريم، واتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي القائم على تتبع المواد العلمية من مظانها ثم ترتيبها وتبويبها حسب مباحث الدراسة، وقسم الباحث دراسته إلى أربعة فصول: الأول: القصة في القرآن الكريم، الثاني: بناء الشخصية الإنسانية ومفهومها عند علماء النفس، الثالث: الشخصية في القصة القرآنية وأقسامها ونماذج منها، الرابع: بناء الشخصية عند المؤمنين والكافرين.

وخلصت الدراسة إلى جملة من الاستنتاجات أهمها: أن أنماط الشخصيات الواردة في القصص القرآني تنقسم حسب دورها إلى ثلاثة أقسام: الرئيسة كشخصية مريم عليها السلام، والثانوية كشخصية أخت موسى عليه السلام، والهامشية كشخصية الرجل الذي وكزه موسى، وأن القصص القرآني قدم منظومة سمات الشخصية الإنسانية بما فيها السلبية كالحسد والنفاق والتذبذب بين الكفر والإيمان، والسخرية والاحتقار، وكذلك الإيجابية منها الشجاعة والإخلاص والإيمان والسعي، وأن القرآن الكريم قسم أنماط الشخصية حسب العقيدة إلى الشخصية المؤمنة والشخصية الكافرة والشخصية المنافقة.

اتفقت الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة في المنهج الذي اتبعه الباحث للإجابة على أسئلة الدراسة، وفي إبراز تصنيفات الشخصية الإنسانية في القرآن الكريم من حيث المعيار العقائدي. وافترقت عنها في أن الدراسة الحالية جاءت لتبحث في تصنيف الشخصية الإنسانية في فكر الغزالي وابن قيم الجوزية كدراسة محددة في تراثهم وفق رؤية كل عالم منهما.

أهم ما يميز الدراسة الحالية ما يأتي:

– أن الدراسة اتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي في تتبع النصوص الدالة على اتجاهات تصنيف الشخصية الإنسانية في فكر الغزالي وابن قيم الجوزية.

– وأنها تعنى بالبحث في التراث التربوي الإسلامي عن اتجاهات تصنيف الشخصية الإنسانية في فكر الغزالي وابن قيم الجوزية، وبهذا تفترق عن بقية الدراسات في عناوينها المطروحة وتقسيماتها المبحوثة.

– وأنها تأتي بدراسة مكونة من أقوال علماء التراث التربوي الإسلامي؛ لإبرازه في المجالات التربوية والنفسية.

منهجية الدراسة:

اتبع الباحث في الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي؛ وذلك من خلال استقراء التضمينات في كلام الغزالي وابن قيم الجوزية الدالة على معايير تصنيف الشخصية الإنسانية وتصنيفها وتبويبها تحت عناوين تنسجم مع الدراسة، وتحليل النصوص الدالة على اتجاهات تصنيف الشخصية الإنسانية.

المبحث الأول: مفهوم الشخصية الإنسانية ومدلولاتها في التراث التربوي الإسلامي

تحدد المعاني اللغوية والمعاني الاصطلاحية للمفهوم المراد دراسته حدود المفاهيم وطريقة تناولها؛ حيث يعتبر التعريف ذو حدود مفاهيمية لا يخرج عنها مراد الباحث، ويأتي ذلك وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم الشخصية الإنسانية لغة

يرجع مصطلح الشخصية إلى الأصل اللغوي "شخص: الشين والخاء والصاد أصل واحد يدل على ارتفاع في شيء، من ذلك الشخص، وهو سواد الإنسان إذا سما لك من بعد، ثم يحمل على ذلك فيقال: شخص من بلد إلى بلد، وذلك قياسه، ومنه أيضا شخوص البصر. ويقال: رجل شخيص وامرأة شخيصة، أي جسيمة، ومن الباب: أشخص الرامي، إذا جاز سهمه الغرض من أعلاه، وهو سهم شاخص. ويقال إذا ورد عليه أمر أقلقه: شخص به، وذلك أنه إذا قلق نبا به مكانه فارتفع (ابن فارس، 1979، ج3، ص254).

ويعرف الشخص على أنه "ما ارتفع من الأجسام من قولك شخص إلى كذا إذا ارتفع، وشخصت بصري إلى كذا أي رفعته إليه وشخص على بلد كأنه ارتفع إليه "(العسكري، د.ت، ص158)، ويعرف الشخص بأنه: "سواد الإنسان القائم المرئي من بعيد" (المناوي، 1990، ص202). ويعرف بأنه: "كل جسم له ارتفاع وظهور، والمراد به إثبات الذات فاستعير لها لفظ الشخص "(ابن منظور، 1414، ص45).

يتبين من خلال عرض ما سبق من التعريفات اللغوية لمعنى الشخص بأنه جاء المعنى ليشمل المعاني الآتية:

- أنه يدل على الارتفاع.
- الإنسان إذا ظهر من بعيد.

- يدل على معنى الجسم.
- يدل على الذات الإنسانية.

المطلب الثاني: مفهوم الشخصية الإنسانية اصطلاحا

تعددت تعريفات مفهوم الشخصية الإنسانية، وكل ذلك جاء وفق النظرة الفلسفية التي ينطلق منها كل معرف لهذا المفهوم، ويمكن الوصول إلى التعريفات وتصنيفها وفق نظرة كل عالم من علماء النفس على ما يأتي:

فتعرف الشخصية على أنها: "وحدة متكاملة ناتجة عن تفاعل شديد التعقيد بين مكوني الجسد والروح، وهي كيان مستقل يميز صاحبه عن غيره من البشر من حيث الفكر (المعتقد)، والانفعالات (العواطف والمشاعر والميول والاتجاهات)، والسلوك" (التل، 2007، ص19)، وتناول التعريف مكونات الشخصية التي تكون منها الإنسان، وكيفية التفاعل بين الجسد والروح بطريقة متزامنة مع بعضها.

وتعرف بأنها: "صفات تميز الشَّخص من غيره ويقال فلان ذو شخصية قويَّة ذو صفات متميزة وإرادة وكيان مستقل"(مصطفى، وآخرون، د.ت، ص457)، أي إن الإنسان يتميز عن غيره من خلال شخصيته والصفات التي تمتع فيها عن غيره من بني جنسه، ويرى العاني أنها: "مجموعة الصفات التي تميز الشخص عن غيره"(العاني، 1998، ص37)، وأشار التعريف إلى السمات والصفات التي تميز الإنسان عن غيره من بني جنسه؛ كي تظهر شخصيته من خلال ما صدر من سلوك. وتعرف بأنها: "تنظيم الفرد للأفكار والمعتقدات والميول والاتجاهات والقيم والعادات والتقاليد والبيئة التي نظمها الفرد في ضوء الفطرة، وفي شكل خلق يثمر أدوارا ومراكز وسمات وسلوكا قلبيا أو قوليا أو فعليا يتخلقه في تعامله مع ربه ومع نبيه ودينه ونفسه والإنسان والكون والحياة والدنيا والآخرة، ويكون لها ثبات نسبي يميز الفرد أو الجماعة عن غيره"(المطوع، 2015، ص186)، وهذا التعريف له خصوصية إسلامية من حيث كل ما يعتقده الإنسان وما يصدر عنه من سلوك بأنواعه الثلاثة التي تتعلق بقلبه وقوله وفعله في تعامله مع الثوابت الإيمانية ويتميز بها عن غيره من بني البشر.

ويعرف مورتن morten الشخصية بأنها: "مجموع ما لدى الفرد من استعدادات ودوافع ونزعات وشهوات وغرائز فطرية وبيولوجية وما لديه من نزعات واستعدادات مكتسبة "(ربيع، 2013،

ص320)، فيركز في هذا التعريف على جانب واحد وهو الجانب الفطري الجسدي وما في الجسد من دوافع سلوك نحو النزعات والغرائز الفطرية المودعة فيه.

يخلص مما سبق سرده من تعريفات الشخصية الإنسانية ما يأتي:

1- أنها وحدة متكاملة معقدة التركيب مكونة من الجسد والروح تعمل بدينامية متفاعلة مستمرة.

2- أن لها دوافع ومعززات ومحركات وسلوكيات تحدد شخصية الفرد.

3- لها صفات تميز الشخص عن غيره وفق السلوك الصادر عنه سواء كان سلوكا قلبيا أو قوليا أو فعليا.

4- أن النظرة الإسلامية تتميز بربط الشخصية الإنسانية بخالقها جل وعلا.

ويرى الباحث تعريفا خاصا لمفهوم الشخصية الإنسانية: منظومة معقدة التركيب تبنى على تفاعل الإنسان بمكوناته المادية والمعنوية مع ربه ومع نفسه ومع الكون والحياة الدنيا والآخرة، من حيث المعتقدات والأفكار والميولات والانفعالات والسلوك الناتج عن ذلك التفاعل، وسلوكيات تصدر عنه وفق دينامية مستمرة منذ ولادته حتى وفاته ويتميز بها عن غيره من بني جنسه.

المطلب الثالث: مفاهيم ذات علاقة بالشخصية الإنسانية عند الغزالي وابن القيم

تعددت المفاهيم ذات العلاقة بمصطلح الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي، ولم يكن يعرف مصطلح الشخصية الإنسانية في الأدب التربوي الإسلامي، وإنما يشار إلى الشخصية الإنسانية وفق المكونات التي تتكون منها، وهي كما يأتي:

أولا: مفهوم النفس

ورد مصطلح النفس في التراث التربوي الإسلامي في كثير من كتابات العلماء، حيث كان مدلولها يدل على الإنسان بكل مكوناته، وحين يتم الحديث عن النفس الإنسانية في التراث التربوي الإسلامي فإنهم يعنون به الشخصية الإنسانية، وأشار الغزالي[i] إلى أن النفس تطلق على معنيين: "أحدهما أن يطلق ويراد به المعنى الجامع للصفات المذمومة وهي القوى الحيوانية المضادة للقوى العقلية، والثاني أن يطلق ويراد به حقيقة الآدمي وذاته، فإن نفس كل شيء حقيقته، وهو الجوهر الذي هو محل المعقولات وهو من عالم الملكوت ومن عالم الأمر "(الغزالي، د.ت، ص15)، وفي

[i] هو محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي الطوسي، ويلقب بزين الدين وبحجة الإسلام، وهو أحد أئمة الشافعية في التصنيف والترتيب والتقريب والتعبير والتحقيق والتحرير، ولد رحمه الله بطوس سنة خمسين وأربع مائة.

هذا التعريف يقسم الغزالي النفس الإنسانية إلى قسمين الأول المعنوي وهو الإشارة إلى ما في النفس الإنسانية من قوى ومحركات وصفات تحمل الإنسان على الفعل أو الترك أو الوسم بصفة بحسب ما يصدر منها، والثاني أنها حقيقة الآدمي وذاته التي تكون منها ومن خلالها أطلق عليه مسمى الإنسان، والإنسان مرادف هو حقيقة الشخصية الإنسانية التي تتكون من "جملة من الصفات الجسدية والنفسية والعادات والتقاليد والقيم والعواطف"(ألبرت، 2014، ص11)، أنها المتكونة من الصفات الجسدية المادية والنفسية المعنوية.

ويشير ابن قيم الجوزية [ii] إلى معنى النفس من خلال تساؤل يشمل ما يتكون منه الإنسان، أي إن "الإنسان هو البدن والروح معا، وقد يطلق اسمه على أحدهما دون الآخر بقرينة، فالناس لهم أربعة أقوال في مسمى الإنسان، هل هو الروح فقط؟ أو البدن فقط؟ أو مجموعهما؟ "(ابن قيم الجوزية، د.ت، ص267)، ويعرف الإنسان في موطن آخر بأنه: "هو هذا الحي الناطق المتغذي النامي الحساس المتحرك بالإرادة، وهذه الصفات نوعان صفات لبدنه وصفات لروحه ونفسه الناطقة"(ابن قيم الجوزية، د.ت، ص288)، أي إن النفس الإنسانية حينما يطلق عليها اسم النفس فإن ذلك يعني أنها الإنسان بمكونيه الروح والجسم.

ثانيا: مفهوم الإنسان

يطلق معنى الإنسان في التراث الإسلامي على معان مركبة تتحد مع بعضها البعض لتشكل الإنسان، فيرى الغزالي أن الإنسان "ليس عبارة عن الجسم فحسب، فإنه إنما يكون إنسانا إذا كان جوهرا، وأن يكون له امتداد في أبعاد تفرض طولا وعرضا وعمقا، وأن يكون مع ذلك ذا نفس، وأن تكون نفسه نفسا يغتذي بها ويحس ويتحرك بالإرادة، ومع ذلك يكون بحيث يصلح لأن يتفهم المعقولات، ويتعلم الصناعات ويعلمها، فإذا التأم جميع هذا حصل من جملتها ذات واحدة هي ذات الإنسان"(الغزالي، د.ت، ص23)، وهذا التعريف يتوافق مع ما جاء به ابن قيم الجوزية في تعريفه الإنسان، من حيث حدوده التي حدها لتميز طبيعة الإنسان وتظهره.

[ii] هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جرير الزرعي، ثم الدمشقي الفقيه الأصولي، المفسر النحوي، العارف، شمس الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية، ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة، وتوفي سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، واشتهر بذلك حتى ذاع صيته بين العلماء وطلبة العلم.

ويرى ابن قيم الجوزية (د.ت، ص288) أن الإنسان: "هو الحي الناطق المتغذي النامي الحساس المتحرك بالإرادة، وهذه الصفات نوعان: صفات لبدنه وصفات لروحه ونفسه الناطقة"، وهنا تمت الإشارة إلى مفاصل متعددة تتحد وتتركب وتتساوق مع بعضها بحيث تشكل الإنسان الذي نراه، وهو الحي: أي الذي فيه حياة تسري، والناطق المتميز عن البهائم، والمتغذي، والمتطور في مراحله العمرية، والحساس الذي يطلب ويرهب، والمتحرك بالدوافع الكامنة فيه.

المبحث الثاني: معايير تصنيف الشخصية الإنسانية في فكر الغزالي وابن قيم الجوزية

تنوعت طرق تصنيف الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي؛ لما للإسلام من نظرة عامة ونظرة خاصة للإنسان، ويأتي عرض معايير تصنيف الشخصية الإنسانية كالآتي:

المطلب الأول: المعيار العقائدي في تصنيف الشخصية الإنسانية

يعد المعيار العام العقائدي هو المعيار الأول الذي يتم من خلاله تصنف الشخصية الإنسانية بحسب ما تعتقده الشخصية من فكر ومعتقد، والاتجاه العقائدي انقسم الناس كلهم من خلاله إلى ثلاثة أقسام، الشخصية المؤمنة والشخصية الكافرة والشخصية المنافقة، "ويصنف القرآن الكريم البشر على أساس المعيار العقائدي؛ نظراً لأهميته الحاسمة في تكوين الشخصية وتوجيهها وقد أنزل الله تعالى سورة المؤمنين، وسورة الكافرين، وسورة المنافقين" (التل، 2006، ص87)، وفي هذه السور القرآنية صفات اتصف فيها المؤمنون والكافرون والمنافقون من حيث المعتقد والفكر والصفات والاتجاهات والانفعالات، وفيما يلي عرض لأبرز ما جاء في تفصيل الشخصيات:

أولا: الشخصية المؤمنة

تعرف الشخصية المؤمنة بأنها "حالة متسامية متدرجة تبدأ بالإسلام"(العاني، 1998، ص73)، والشخصية المؤمنة "هم المؤمنون الذين عرفوا الحق فاتبعوه، وأبطنوا الإيمان وأظهروه على سلوكاتهم وأعمالهم، فتطابق سلوكهم الظاهري مع سلوكهم الباطني" (التل، 2005، ص37)، فالإيمان الذي اعتقدوه في قلوبهم وجمل بواطنهم أظهروه على جوارحهم، إذ من شروط الإيمان أن يظهر على الجوارح والألسن بعد اعتقاده بالقلوب.

وتعد الشخصية الإسلامية والتي يرى المسلمون أنها "الشخصية الإنسانية الوحيدة التي توسم بأنها سوية، سوية في صفاتها وخصائصها، وفي آمالها وطبائعها وفي مقاييسها وموازينها، وهي التي لم تمسخ فطرتها ولم تشوه جبلتها"(الأشقر، 1997، ص278)، وهي الشخصية السوية التي تسعى التربية الإسلامية إلى إيجادها، وهي شخصية متصالحة مع نفسها ومع خالقها جل وعلا ومع الناس، تمتعت بالإيمان الكامل بالله تعالى فشكل لها الإيمان والعبودية لله تعالى حرية كاملة، وقد

أشار الله تعالى إلى هذه الشخصية بقوله تعالى: **(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (11))** المؤمنون: ١ – ١١.

ويرى الغزالي ذات التقسيم للشخصية المؤمنة من حيث ما تعتقده ويصدر عنها من سلوك ظاهري وباطني يجعلها داخلة في الشخصية المؤمنة، فيقول: "فأراد بالإيمان التصديق بالقلب فقط، وبالإسلام الاستسلام ظاهراً باللسان والجوارح وفي حديث جبرائيل عليه السلام لما سأله عن الإيمان فقال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالبعث بعد الموت وبالحساب وبالقدر خيره وشره فقال فما الإسلام فأجاب بذكر الخصال الخمس، فعبر بالإسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل"(الغزالي، د.ت، ص116).

وتعتبر الشخصية المؤمنة في نظر الغزالي هي الشخصية المذعنة لأحكام الله تعالى، والمستسلمة لأوامره، "والاستسلام بالإذعان والانقياد وترك التمرد والإباء والعناد وللتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجمان، وأما التسليم فإنه عام في القلب واللسان والجوارح فإن كل تصديق بالقلب فهو تسليم وترك الإباء والجحود، وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح" (الغزالي، د.ت، ص116)، فصفات المؤمن هي الاستسلام والإذعان بما أمر الله تعالى به، وهذا يوجد استسلام كامل الإنسان، فالقلب يقود الجسم إلى ما اعتقده، واللسان ينقاد بالذكر لما في القلب، فالجوارح كما أشار إليها الغزالي تنقاد للقلب؛ لأنهم من عساكره وجنوده التي تأتمر بأمره. ويشير ابن قيم الجوزية إلى أهمية هذه الأصول التي ذكرت في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يرويه عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا)**، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله،

ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: **(أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)**، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: **(أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)** (النيسابوري، د.ت، حديث:8)، وهي التي تجعل من الشخصية الإنسانية شخصية مؤمنة، فهذا "علم أصول الإيمان الخمسة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فإن من لم يؤمن بهذه الخمسة لم يدخل في باب الإيمان ولا يستحق اسم المؤمن"(ابن قيم الجوزية، د.ت، ص156)، فالشخصية المؤمنة تحتاج إلى مقومات حتى تصبح مؤمنة، "وهم الذين سلكوا الدرب القويم والصراط المستقيم، واستضاءوا بنور الحق الإلهي، ويمثلون الشخصية الإنسانية الحقة السوية التي حققت الغرض من وجودها وقامت بدورها"(الأشقر، 1997، ص277)، وهذا الدور الذي أنيطت به مكرمة من الله تعالى للإنسان. **المطلب الثاني: الشخصية الكافرة**

تعتبر الشخصية الكافرة مضادة للشخصية المؤمنة، "هي كل إنسان لا يؤمن ولا يعمل بهدى الله تعالى، أي لا يتبع الإسلام"(غراب، 1985، ص64)، ووقع التمييز بينهما بالمعيار العقائدي الذي انقسم الناس فيه بحسب معتقدهم، واتسموا بسمات ميزتهم عن غيرهم، "والكافرون هم الذين عرفوا الحق فجحدوه وأظهروا الكفر"(التل، 2006، ص64)، والشخصية الكافرة هي مصطلح شرعي ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية بكثرة، وهي شخصية منحرفة عن الصراط المستقيم.

وأنزل الله تعالى سورة للتفريق بين الكافر والمؤمن وهي سورة الكافرين، قال الله تعالى: **(قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)**) الكافرون: ١ – ٦، ففي هذه السورة الكريمة يبين الله تعالى أن المعيار الذي فرق فيه بين المؤمن والكافر هو معيار العقيدة والعبادة، إذ هناك تلازم مطرد بين العقيدة والعبادة، وما اعتقده المؤمن في ربه فإنه يسوقه إلى العبادة والعمل، وكذا الكافر، فإن الله تعالى يبين أن التفريق حصل بتوحيد العبادة.

واتصفت الشخصية الكافرة بصفات أخرى جاءت في كتاب الله تعالى، قال الله تعالى: **(وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا (55))** الفرقان: ٥٥، "أي معيناً للشيطان على معصية الرحمن "(الجزائري، 2003، ص622)، فيبقى الكافر يعين أهل الباطل على أهل الحق ويلحق بهم الضرر والإيذاء، لما اتصفت به هذه الشخصية من الشرور والانحراف وانعدام السوية، وإلى جانب ذلك أنهم لا يؤمنون ولا يصدقون آيات الله التي أنزلت على أنبيائه، فقال

عنهم الله تعالى: **(إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (105))** النحل: 105.

ويصفهم الله تعالى في قوله: **(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (14)**النمل: 14، أي من صفاتهم المتعلقة بهم أنهم جاحدون وفي نفس الوقت يستكبرون على الحق واتباعه، قال ابن كثير: "جحدوا بها في ظاهر أمرهم **(وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ)** أي علموا في أنفسهم أنها حق من عند الله، ولكن جحدوها وعاندوها وكابروها **(ظُلْمًا وَعُلُوًّا)** أي ظلماً من أنفسهم سجية ملعونة، وعلواً أي استكباراً من اتباع الحق" (ابن كثير، 1994، ص435)، فشخصية الكافرة منحرفة عن الطريق القويم المبني على المعيار العقائدي الذي وضعه الله تعالى معيارا للسواء وللانحراف في سلوكها، وتتصف بالجحود والإنكار وعدم الإيمان والمعاندة والمكابرة والإفساد.

ويعرف الغزالي الشخصية الكافرة فيقول: "والكافر كل من أعرض عن الله تعالى ولم يرد إلا الحياة الدنيا ورضي بها واطمأن إليها"(الغزالي، د.ت، ص130) والشخصية الكافرة هي التي عطلت أوامر الله تعالى وحجبتها عن ورودها القلب فقال: "وإذا عطل هذه الجملة أو استعملها لكن في مراعاة أعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة أو في عمارة طريقه دون منزله، إذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان مخذولا شقيا كافرا بنعمة الله تعالى، مضيعا لجنود الله تعالى، ناصرا لأعداء الله، مخذلا لحزب الله؛ فيستحق المقت والإبعاد في المنقلب والمعاد نعوذ بالله من ذلك" (الغزالي، د.ت، ص10)، فاتصفت الشخصية الكافرة بعدة صفات وصدر عنها أفعال سلوكية تشير إلى انحرافها وهي تخذيل المسلمين ونصرة أعداء الدين، ولذلك وصف الغزالي قلب الكافر فقال: "وقلب الكافر أقسى من الحجر"(الغزالي، د.ت، ص156) لما استوعب من مادة فاسدة أفسدت عقيدته وغلبت على قلبه، ودفعته إلى سلوك غير سوي.

ويرى ابن قيم الجوزية أن ما يصدر من الشخصية الإنسانية من أفعال تجعلها شخصية كافرة، "فجعل الكافر لانصرافه عن طاعته، وجهله بمعرفته، وتوحيده وشرائع دينه، وترك الأخذ بنصيبه من رضاه، والعمل بما يؤديه إلى نجاته وسعادته: بمنزلة الميت الذي لا ينفع نفسه بنافعة، ولا يدفع عنها من مكروه" (ابن قيم الجوزية، 1432، ص30)، فالشخصية الكافرة لها صفاتها النفسية والسلوكية من انصراف عن الطاعة وجهل بالمعرفة والتوحيد وعدم السعي إلى رضى الله تعالى، وعدم العمل بما يصلح حالها ويؤول إلى نجاتها.

المطلب الثالث: الشخصية المنافقة

تتميز الشخصية المنافقة بأنها شخصية متذبذبة بين المؤمنة والكافرة، فتارة تلحق بالمؤمنة وتارة تلحق بالكافرة، "وهي شخصية مريضة منقسمة على نفسها، فكأنها شخصيتان متصارعتان تعيشان في جسد واحد، إحداهما تعبر عن نفسها من خلال المظاهر الخارجية التي يراها ويسمعها الناس، والأخرى تعبر عن نفسها بالمشاعر والاعتقادات الداخلية التي لا يطلع عليها أحد " (غراب، 1985، ص151)، وذلك بحسب المعتقد والسلوك الذي يصدر عنها، وقد وصفها الله تعالى بالذبذبة والتردد، والمنافقون "هم الذين عرفوا الحق فجحدوه وأظهروا خلافه، أي أنهم أبطنوا الكفر وأظهروا الإيمان"(التل، 2005، ص65)، **قال الله تعالى، (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (142) مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (143)** النساء: ١٤٢ – ١٤٣، وتعريف "النفاق هو: إظهار الخير وإبطان الشر، ويدخل في هذا التعريف النفاق الاعتقادي، والنفاق العملي " (السعدي، 2000، ص42)، وهذا يقود إلى أن الشخصية المنافقة على درجات ومراتب وهذا التقسيم جاء انطلاقا من النصوص الشرعية ومن تتبع كلام علماء التراث التربوي الإسلامي والشخصية المنافقة، وهي على نوعين:

الأولى: الشخصية المنافقة نفاقا اعتقاديا:

وهي الشخصية التي جاء القرآن الكريم بذمها وتوعدها الله تعالى بالدرك الأسفل من النار، وقد أنزل الله تعالى فيهم سورة المنافقين تتحدث عن صفاتهم، قال الله تعالى: **(إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (1) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (2) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (3))** المنافقون: ١ – ٣، فالصفات التي تميزوا بها أنهم كاذبون في ادعائهم أن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل من ربه جل وعلا، وقد "نما كذب ضميرهم؛ لأنهم أضمروا النفاق، فكما لم يقبل إيمانهم، وقد أظهروه، فكذلك جعلهم كاذبين، لأنهم أضمروا غير ما أظهروا" (الطبري، 2000، ص390). وهذه الشخصية تلحق بالشخصية الكافرة؛ لأنها اعتقدت الكفر وأظهرت الإيمان.

الثانية: الشخصية المنافقة نفاقا عمليا:

وهي الشخصية التي أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا اؤتمن خان، وإذا وعد أخلف)** (البخاري، 1422، حديث:33)، وهذا يدل على "أن تمام الإيمان بالأعمال، وأنه يدخل على المؤمن النقص في إيمانه بالكذب، وخلف الوعد، وخيانة الأمانة، والفجور في الخصام، كما يزيد إيمانه بأفعال البر"(ابن بطال، 2003، ص90). ولم يأت في القرآن والسنة ما يبين أن هذه الشخصية شخصية كافرة، وإنما وصفت بأنها منافقة بحسب السلوك الذي صدر عنها، وهذه الشخصية تلحق بالمؤمنة؛ لأنها لم ترتكب ما يجعلها تلحق بالشخصية الكافرة، وما زال الإيمان في قلب الشخصية المنافقة غير أنه ارتكب سلوكا ظاهريا مخالفا لما يحث عليه الإيمان، وهذا لا يأتي إلا بالنصوص الثابتة من الوحي حتى يحكم عليها، والسلوك الذي صدر عن الشخصية المنافقة هو سلوك ظاهري مع بقاء الإيمان في قلبه، فلم يرتكب ما يخرجه إلى دائرة النفاق الاعتقادي وهو إبطان الكفر وإظهار الإسلام.

وينحى الغزالي وفق نظرته الشرعية وانطلاقه من الوحي الإلهي إلى أن من أقسام الشخصية الإنسانية الشخصية الكافرة والشخصية المنافقة، يستدل لذلك بما جاء في القرآن الكريم، فيقول: "ولذلك شدد أمر المنافقين، قال الله تعالى: **(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (145))** النساء: ١٤٥؛ لأن الكافر كفر وأظهر وهذا كفر وستر فكان ستره لكفره كفراً آخر لأنه استخف بنظر الله سبحانه وتعالى إلى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره "(الغزالي، د.ت، ص99)، فألحقها بالشخصية الكافرة في هذا النص.

ويضرب الغزالي مثلا للشخصية الإنسانية بأنها مترددة بين الصلاح والفساد بحسب ما يغلب عليها من مادة صالحة أو فاسدة فيقول: "مثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأي المادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به، **قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (201))** الأعراف: ٢٠١، فأخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا "(الغزالي، د.ت، ص12)، فقلب المنافق قلب متأرجح بين الهدى والضلال، وبين الحق والباطل، فكلما رعاه الإنسان بما يصلحه من أدوية شرعية فإنه يعود إلى صلاحه شيئا فشيئا، وإذا أهمله أورده المعاطب والمهالك، وألحق هذه الشخصية بالمنافقة المترددة بين الحق والباطل.

المطلب الثاني: معيار الاهتداء والضلال للشخصية الإنسانية

تصنف الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي إلى تصنيف آخر، وهو باعتبار الهداية والضلال، وقد ورد في مصطلحات علماء التراث الإسلامي هذه التسمية وهذا التقسيم، والشخصية المهتدية التي تمثل الشخصية السوية، والشخصية الضالة هي التي تمثل الشخصية المنحرفة، ويأتي الحديث عنها فيما يأتي:

أولا: الشخصية المهتدية:

تعرف الشخصية السوية بأنها "التي سلكت الدرب القويم والصراط المستقيم، واستضاءت بنور الحق الإلهي وهم الذين يمثلون الشخصية الحقة السوية التي حققت الغرض من وجودها وقامت بدورها" (الأشقر، 1997، ص277)، وهي الشخصية السوية المؤمنة المتبعة للحق الذي جاء بالوحي من ربها جل وعلا، "وهي التي استطاع صاحبها التجاوب مع مطالب العقيدة والشريعة، فتتمكن بذلك من تفعيل عناصر الشخصية القلب والنفس بانسجام مع ما يريده خالقهما لهما، فحقق بذلك انسجاما مع الغاية الكبرى من وجوده ووجود الكون والحياة"(القيسي، 2006، ص169)، وهي تتساوى مع الشخصية المؤمنة.

وتتميز الشخصية المهتدية السوية بأنها "تشكلت من ثلاثة عناصر في تكوينها، ومن ثم هي متداخلة ومتكاملة ولا تغني واحدة منها عن الأخرى، وهي أن المؤمن يتعلم ويعلم ويؤمن ويعمل في سلسلة مترابطة من النشاطات النفسية والمادية المتكاملة التي تؤدي إذا استمرت إلى زيادة العلم والإيمان والعمل، (غراب، 1985، ص25) ويشير الغزاليُّ إلى أن الشخصية الإنسانية على شقين إما مهتدية وإما ضالة، "فالهداية لا سبيل لأحد إلى طلب السعادة إلا بها؛ لأن داعية الإنسان قد تكون مائلة إلى ما فيه صلاح آخرته، ولكن إذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحاً فمن أين ينفعه مجرد الإرادة فلا فائدة في الإرادة والقدرة والأسباب إلا بعد الهداية ولذلك قال تعالى: **(قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50))** طه: ٥٠" (الغزالي، د.ت، ص108)، والشخصية المهتدية هي الساعية إلى سعادتها سواء كانت في الدنيا أو في الآخرة، وهذا من بدايات مراتب الصحة النفسية المنشودة في علوم النفس، فالهداية إلى الحق والعمل به هي الموصل إلى الصحة المنشودة التي يترتب الوصول إلى الفوز الأكبر المراد وهو الجنة. ويرى الغزالي (د.ت، ص108) أن الهداية مراتب مبنية بصورة متدرجة وينبغي أن يمر بها الإنسان للوصول إلى بغيته، فيقول: " وللهداية ثلاث منازل:

الأولى: معرفة طريق الخير والشر المشار إليه بقوله تعالى: **(وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (10))** البلد: ١٠. الثانية: وراء هذه الهداية العامة وهي التي يمد الله تعالى بها العبد حالاً بعد حال وهي ثمرة المجاهدة **قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69)) العنكبوت: ٦٩.**

الثالثة: وهو النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة فيهتدي بها إلا ما لا يهتدى إليه بالعقل الذي يحصل به التكليف وإمكان تعلم العلوم، قال الله تعالى: **(وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (120)** البقرة: ١٢٠". وهذه الهرمية المتدرجة في الوصول إلى الهداية في نظر الغزالي ينبغي على الإنسان أن يحققها في حياته، من معرفة الخير والشر بداية، ثم المجاهدة التي تروض النفس على الفعل الحسن وصدها عن الفعل القبيح، ثم النور الذي يقذفه الله تعالى في قلب العبد من الهدى.

ويتفق ابن قيم الجوزية مع الغزالي في الإشارة إلى ذات المعنى للشخصية فيقول: "انقسام النفوس إلى الزكية الراشدة المهتدية، وإلى الفاجرة الضالة الغاوية، وذكر فيها الأصلين القدر والشرع، قال الله تعالى: **(فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8))** الشمس: ٨، فهذا قدره وقضاؤه، ثم قال تعالى: **(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10)** الشمس: ٩ – ١٠ فهذا أمره ودينه، وثمود هداهم فاستحبوا العمى على الهدى فذكر قصتهم ليبين سوء عاقبة ممن آثر الفجور على التقوى والتدسية على التزكية" (ابن قيم الجوزية، د.ت، ص93)، معنى هذا أن الشخصية الإنسانية في رأي ابن قيم الجوزية إما أن تكون مهتدية سوية قابلة للحق الذي جاء من عند ربها جل وعلا، أو تكون ضالة فاجرة تحيد عن الحق ولا تقبله بل وتحاربه.

وذكر ابن قيم الجوزية أن الهدى جاء في القرآن الكريم على مراتب متفاوتة: "المرتبة الأولى: الهدى العام وهو هداية كل نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمها وهذا أعم مراتبه، المرتبة الثانية: الهدى بمعنى البيان والدلالة والتعليم والدعوة إلى مصالح العبد في معاده وهذا خاص بالمكلفين وهذه المرتبة أخص من المرتبة الأولى وأعم من الثالثة، المرتبة الثالثة: الهداية المستلزمة للاهتداء وهي هداية التوفيق ومشيئة الله لعبده الهداية وخلقه دواعي الهدى وإرادته والقدرة عليه للعبد وهذه الهداية التي لا يقدر عليها إلا الله عز وجل، المرتبة الرابعة: الهداية يوم المعاد إلى طريق الجنة والنار"(ابن

قيم الجوزية، 1978، ص65). فتبقى الشخصية الإنسانية تضيق دائرة الهداية لديها من العام إلى الخاص إلى الأخص إلى الأخص، حتى تكون الهداية الخاصة يوم القيامة الجنة أو النار.

ثانيا: الشخصية الضالة:

هي الشخصية المنحرفة التي انحرفت إلى الأهواء والشهوات والضلال، ويدخل فيها الشخصية المؤمنة والشخصية المنافقة والشخصية الكافرة؛ إذ الانحراف من الهداية إلى الضلال انحراف نسبي، فتارة تكون في المهتدية وتارة تكون في الضالة، ويرى الغزالي أن الشخصية الضالة تنشأ في بدايتها على الفساد، "وأن يكون مع نشئه على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به، يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي به، ويظن أن ذلك يرفع قدره، وهذا هو أصعب المراتب، وفي مثله قيل: ومن العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب، والأول من هؤلاء جاهل فقط، والثاني جاهل وضال، والثالث جاهل وضال وفاسق، والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير"(الغزالي، د.ت، ص56)، فلا يتصف بصفة الضلال إلا من كان محققا لما يجعله ينتظم في صف الشخصية الضالة، ويرتقي في مراتب الجهل، ثم الجهل مع الضلال، ثم الجهل والضلال والفسوق، ثم المرتبة الأعلى الجهل والضلال والفسوق والشرور.

ويشير إلى ذلك ابن قيم الجوزية مستشهدا بقوله تعالى، فيقول تعالى: **(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (115))** التوبة: ١١٥، ونظائره كثيرة وعلى هذا التقدير فهو ضال عن سلوك طريق رشده وهو يراها عيانا، فإن الضال عن الطريق قد يكون متبعا لهواه عالما بأن الرشد والهدى في خلاف ما يعمل ولما كان الهدى هو معرفة الحق والعمل به كان له ضدان الجهل وترك العمل به فالأول ضلال في العلم والثاني ضلال في القصد والعمل فقد وقع قوله على علم في قوله تعالى: **(وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (32)** الدخان:٣٢" (ابن قيم الجوزية، 1978، ص39)، فيحصل الضلال للشخصية الإنسانية بسبب الاعتقاد الوارد عليها، وبحسب ما تعلمه من الحق وتعرض عنه.

وتتصف الشخصية الضالة بعدة صفات عقدية ونفسية وسلوكية كما يشير إلى ذلك ابن قيم الجوزية: "وإن الضال من جعل صدره ضيقا حرجا عن معرفته ومحبته كأنما يتصاعد في السماء، وليس ذلك في قدرته، وأن ذلك عدل في عقوبته لمن لم يقدره حق قدره وجحد كمال ربوبيته، وكفر بنعمته وآثر عبادة الشيطان على عبوديته، فسد عليه باب توفيقه وهدايته، وفتح عليه أبواب غيه وضلاله فضاق صدره وقسا قلبه وتعطلت من عبودية ربها جوارحه، وامتلأت بالظلمة جوانحه، والذنب له حيث أعرض عن الإيمان، واستبدل به الكفر والفسوق والعصيان، ورضي بموالاة

الشيطان، وهانت عليه معاداة الرحمن" (ابن قيم الجوزية، 1978، ص108) فاكتسب وصف الضلال بحسب ما صدر عنه من سلوك وفق معتقد اعتقده في قلبه وظهر على جوارحه.

المطلب الثالث: المعيار الفلسفي في تصنيف الشخصية الإنسانية

دأب الفلاسفة في تصنيف الشخصية الإنسانية في اتجاه خاص وهو ما يتعلق بالجبلة التي جبل الإنسان عليها، ويعتبر تقسيما طبيا يتحدث عن المكونات الكيميائية في جسد الإنسان وتأثيرها في سلوكه، وبالتالي تصنف الشخصية الإنسانية بحسب ما يصدر عنها من نمط يتعلق بالأخلاط الأربعة، وهو التصنيف الطبي القديم لشخصية الإنسان حسب مزاج البدن إلى أربعة أنواع وهي: دموي حاد الطبع، بلغمي بارد الطبع، صفراوي غضوب، وسوداوي متشائم " (غراب، 1985، ص7). فالمزاج يؤثر في الشخصية الإنسانية بحسب ما يغلب عليها.

"وقد زعم القدماء أن كل طراز يرجع إلى غلبة عنصر أو مزاج خاص في الجسم (الدم أو الصفراء أو البلغم أو السوداء) وكانوا يرون الشخصية السوية المتزنة تنشأ من توازن هذه الأمزجة"(راجح، 1968، ص403)، فبحسب ما يصدر من سلوك تأثر فيه الجسد فإنه يمكن تصنيف الشخصية حينئذ بسمة غلبت عليها كما يقال شخصية متشائمة لغلبة المادة السوداء في الجسد، "وقسمت الشخصيات إلى أربعة أنماط من حيث الأخلاط السائدة أو الغالبة في السمات السلوكية السائدة لكل نمط " (عويضة، 1996، ص11):

1- السوداوي: سماته السلوكية: متشائم، شكاك، مكتئب.

2- الدموي: سماته السلوكية: متفائل، اجتماعي، سهل المعاشرة.

3- البلغمي: سماته السلوكية: هادئ، يضبط نفسه، خامل.

4- الصفراوي: سماته السلوكية: نشط، سهل الاستشارة، أناني.

"وأعاد كانت kant إحياء نظرية الأمزجة الأربعة وألبسها ثوبا جديدا وروجها ورأى أن هذه الأمزجة فئات تصنيفية مستقلة لا يمكن تغييرها، وليس فيها درجات وسطى أو أمزجة مركبة " (عبد الخالق، 2015، ص38)، وبالتالي فإنها هي التي تشكل شخصية الإنسان وسماته السلوكية التي تصدر عنه. ويذهب الغزالي إلى ذات التقسيم للأمزجة في الإنسان، وهي التي لها التأثير بحسب البخار الرطب أو الحار في الجسد، فيقول: "ولو حلت بالمرارة آفة فلم تجذب الفضلة الصفراوية فسد الدم وحصل منه الأمراض الصفراوية كاليرقان والبثور والحمرة، وإن حلت بالطحال آفة فلم يجذب الخلط السوداوي حدثت الأمراض السوداوية كالبهق والجذام وألم اليخوليا وغيرها وإن لم تندفع المائية نحو الكلى حدث منه الاستسقاء " (الغزالي، د.ت، ص113)، فالمادة الصفراوية والسوداوية إن خرجت

عن حد الاعتدال تحدث أمراضا متعددة ومحددة تشير إلى الضعف في بعض أعضاء الجسد، وبالتالي يسهل الكشف عن هذه التغيرات والاضطرابات في الأخلاط المكونة من خلال ما يحدث من ضعف في عضو من أعضاء الجسد، "ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الأعضاء وقوام منافعها وإدراكاتها وقواها ببخار لطيف يتصاعد من الأخلاط الأربعة ومستقره القلب ويسري في جميع البدن بواسطة العروق الضوارب فلا ينتهي إلى جزء من أجزاء البدن إلا ويحدث عند وصوله في تلك الأجزاء ما يحتاج إليه من قوة حس وإدراك وقوة حركة وغيرها " (الغزالي، د.ت، ص114).

ويرى ابن قيم الجوزية أن الأخلاط لها تأثير في البدن، وأن البدن يتكون منها، فيقول: "وتقوم البدن أخلاط ردية تمنع تأثير الغذاء فيه وانتفاعه به، وأن غلبة الأخلاط واستيلائها من عدم القوة المنضجة لها أو القوة الدافعة لما يحتاج إلى خروج، وكذلك استيلاء الإرادات الفاسدة لضعف قوة العفة والصبر "ابن قيم الجوزية، 1978، ص183)، فالأخلاط هي المركبات الموجودة في بدن الإنسان، "وإن الإنسان خلق عرضة للذة والألم والسرور والحزن والفرح والغم وذلك من جهتين: من جهة تركيبه وطبيعته وهيئته فإنه مركب من أخلاط متفاوتة متضادة يمتنع أو يعز اعتدالها من كل وجه، بل لابد أن يبغي بعضها على بعض فيخرج عن حد الاعتدال " (ابن قيم الجوزية، 1978، ص245)، وذلك لما لها تأثير على البدن وبالتالي فإنه لابد من أن يغلب بعض الأخلاط على بعض وتبقى في احتراب الاعتدال وهذا من حكمة الله جل وعلا في خلق الإنسان.

وتعتبر الأخلاط المكونة لطبيعة الإنسان هي مواد نابعة من أصل تكونت منه، ثم تحولت إلى دموي وصفراوي وبلغمي وسوداوي من حيث ما صدر نتيجة تفاعل هذه المواد الكيميائية في الجسم، "وتلك المادة إما بخارية، وإما أخلاط حارة وباردة، وعلامتها الخاصة بها ضربان الشرايين، وخاصة في الدموي، وإذا ضبطت بالعصائب ومنعت من الضرَبَان سكن الوجع " (ابن قيم الجوزية، 1994، ص80) فالتأثير الحاصل في الجسم بسبب تلك الأخلاط أنها تسبب الأوجاع والآلام، والإشارة إلى ضبطها هي إشارة نفيسة حتى يستطيع الإنسان ضبطها عن الحركة وتخفيف تأثيرها في جسده.

ويتبع ابن قيم الجوزية الإشارة إلى الأخلاط أنه كلما غلب واحد منها على الآخر أحدث نوعا من التأثير في الجسد، ويشير إلى منشأ الأخلاط وتولدها في الجسم، فيقول: "واعلم أنه كما يرتفع من الأرض إلى الجو بخاران أحدهما: حار يابس، والآخر حار رطب، فينعقدان سحابا متراكما ويمنعان أبصارنا من إدراك السماء، فكذلك يرتفع من قعر المعدة إلى منتهاها مثل ذلك فيمنعان النظر ويتولد عنهما علل شتى " (ابن قيم الجوزية، 1994، ص99)، فأسباب العلل هي أن البخار المتصاعد

من قعر المعدة هو الذي يحدث الألم بحسب وروده إلى الأعضاء التي تصله، وقد فصل في ذلك الأمر على النحو الآتي فيقول: "فإن قويت الطبيعة على ذلك(ابن قيم الجوزية، 1994، ص99):

- ودفعته إلى الخياشيم أحدث الزكام.
- وإن دفعته إلى اللهاة والمنخرين أحدث الخناق.
- وإن دفعته إلى الجنب أحدث الشَّوصة.
- وإن دفعته إلى الصدر أحدث النزلة.
- وإن انحدر إلى القلب أحدث الخبطة.
- وإن دفعته إلى العين أحدث رمدا.
- وإن انحدر إلى الجوف أحدث السيلان.
- وإن دفعته إلى الدماغ أحدث النسيان.
- وإن ترطبت أوعية الدماغ منه وامتلأت به عروقه أحدث النوم الشديد.

وأما على النوع الآخر من الأخلاط فإن البلغمي "إن أهاج الرطوبة حتى غلب الحارُّ الغريزي أحدث الإغماء والسكات، وإن أهاج المرَّة السوداء حتى أظلم هواء الدماغ أحدث الوسواس، وإن فاض إلى مجاري العصب أحدث الصرع الطبيعي، وإن ترطبت مجامع عصب الرأس وفاض ذلك إلى مجاريه أعقب الفالج وإن كان البخار من مِرَّة صفراء ملتهبة محمية للدماغ أحدث البِرسام، فإن شركه الصدر أحدث سرساما" (ابن قيم الجوزية، 1994، ص99)، فالبلغمي إذا حرك الرطوبة أحدث تغييرا في الجسد وأوجاع وأمراض تكشف عن حركة الأخلاط في الجسد، وكل ذلك نابع من البخار الحار اليابس، والبخار الحار الرطب، فهي التي تؤثر في حركة الأخلاط وتفاعلها في الجسد. ويخلص الحديث عن تصنيف الشخصية باعتبار المعيار الفلسفي أن الغزالي وابن قيم الجوزية قد اتجها إلى تصنيف الشخصية الإنسانية باعتبار هذا المعيار الموروث عن الفلسفة اليونانية؛ وذلك لشيوع تلك الفلسفة في الأوساط العلمية في ذلك الوقت، وهناك اتفاق تام بينهما في التقسيم المشار إليه، وتؤثر في الشخصية الإنسانية مما يؤدي إلى وقوع سلوك وفعل بتأثير الأخلاط التي تتكون منها الشخصية الإنسانية.

النتائج:

1-أظهرت أن من مفاهيم الشخصية الإنسانية النفس والإنسان في فكر الغزالي وابن قيم الجوزية وأنها وحدة متكاملة مكونة من الروح والبدن تتفاعل بطريقة دينامية مستمرة، وأنه لا اختلاف بين رؤية الغزالي وابن القيم إلى هذه المفاهيم.

2-أن الغزالي وابن قيم الجوزية اتفقا في تصنيف الشخصية الإنسانية بالمعيار العقائدي وهي: الشخصية المؤمنة، والشخصية الكافرة، والشخصية المنافقة.

3-أن الغزالي وابن قيم الجوزية اتفقا في تقسيم الشخصية الإنسانية وفق معيار الاهتداء والضلال وهي: الشخصية المهتدية السوية، والشخصية الضالة المنحرفة.

4-اتبع الغزالي وابن قيم الجوزية تصنيف الشخصية الإنسانية تبعا لما جاء في تقسيم الفلاسفة وفق نظرية الطرز أو التصنيف الطبي وهي الدموي والسوداوي والبلغمي والصفراوي، وأن هذه الأخلاط أو الطرز تؤثر في شخصية الإنسان من حيث تصرفاته وسلوكاته التي تصدر عنه.

التوصيات: يوصي الباحث:

1-عمل دراسات تعنى بالتراث التربوي الإسلامي في العلوم النفسية والإنسانية، وإبراز جهد علماء التراث التربوي في الإسلامي في المجال المعرفي لعلم النفس الإسلامي.

2-الباحثين في عمل دراسات تعنى بالتأصيل الإسلامي في موضوع السواء والانحراف في الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي.

المراجع:

ابن بطال، علي بن خلف. (2003). شرح صحيح البخاري لابن بطال. ط2. مكتبة الرشد. السعودية.

ابن فارس، أحمد. (1979). معجم مقاييس اللغة. دار الفكر.

ابن قيم الجوزية، محمد. (1432). إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان. ط1. دار عالم الفوائد.

ابن قيم الجوزية، محمد. (د.ت). الروح. دار الكتب العلمية. بيروت.

ابن قيم الجوزية، محمد. (1994). زاد المعاد. ط27. مؤسسة الرسالة. بيروت.

ابن قيم الجوزية، محمد. (1978). شفاء العليل. دار المعرفة. بيروت.

ابن قيم الجوزية، محمد. (د.ت). مفتاح دار السعادة. دار الكتب العلمية. بيروت.

ابن كثير، أبو الفداء. (1994). تفسير القرآن العظيم. ط1. دار الفكر.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (1414). لسان العرب. ط3. دار صادر. بيروت.

الأشقر، عمر سليمان. (1997). محاضرات إسلامية هادفة. ط1. دار النفائس. عمان.

ألبرت، كارل. (2014). أنماط الشخصية. ط1. كنوز المعرفة.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422). صحيح البخاري. ط1. تحقيق: محمد زهير. دار طوق النجاة.

التل، شادية. (2006). الشخصية من منظور نفسي إسلامي. دار الكتاب الثقافي. الأردن.

التل، شادية. (2005). علم النفس التربوي في الإسلام. ط1. دار النفائس. عمان.

الجزائري، أبو بكر. (2003). أيسر التفاسير. ط5. مكتبة العلوم والحكم. المدينة المنورة.

الحاتمي، خالد صالح. (2001). "دور التربية الإسلامية في تجديد الشخصية الإنسانية". أطروحة دكتوراة غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

راجح، أحمد عزت. (1968). أصول علم النفس. ط7. دار الكاتب العربي. القاهرة.

ربيع، محمد شحاته. (2013). علم نفس الشخصية. (ط1). دار المسيرة.

السعدي، عبد الرحمن. (2000). تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن. ط1. مؤسسة الرسالة.

الطبري، محمد بن جرير. (2000). جامع البيان في تأويل القرآن. ط1. مؤسسة الرسالة.

العاني، نزار. (1998). الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي. ط1. المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

عبد الخالق، أحمد محمد. (2015). علم نفس الشخصية. ط2. مكتبة الأنجلو. مصر.
العسكري، أبو هلال. (د.ت). الفروق اللغوية. دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع. مصر.
علي، محمد. (1990). التوقيف على مهمات التعريف. ط1. عالم الكتب. القاهرة.
عليان، مصطفى. (1992). "بناء الشخصية في القصة القرآنية". مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد44.
عويضة، كامل محمد. (1996). علم النفس بين الشخصية والفكر. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت.
غراب، أحمد عبد الحميد. (1985). الشخصية الإنسانية في ضوء القرآن الكريم. الهيئة المصرية العامة.
الغزالي، أبو حامد. (د.ت). إحياء علوم الدين. دار المعرفة. بيروت.
الغزالي، أبو حامد. (1975). معارج القدس في مدارج معرفة النفس. ط2. دار الآفاق الجديدة. بيروت.
القيسي، مروان إبراهيم. (2007). المدخل إلى علم النفس في الإسلام. ط1.
مصطفى، إبراهيم. (د.ت). وآخرون، المعجم الوسيط. دار الدعوة.
المطوع، عبد الله المطوع. (2015). "الشخصية الإنسانية ومكوناتها: دراسة تأصيلية مقارنة". جامعة عين شمس، كلية التربية، ج/ع 170.
النيسابوري، مسلم بن الحجاج. (د.ت). صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي. بيروت.